

226876 - هل أوّل البخاري صفة الوجه بأنه الملك والضحك بأنه الرحمة ؟

السؤال

هل أوّل الإمام البخاري بعض صفات الله تعالى، كالضحك، قيل: إنه أوّله بالرحمة، والوجه أوّله بالملك؟

الإجابة المفصلة

أولاً:

بالنسبة لصفة الضحك:

فلا يعرف نص ثابت للبخاري يؤول فيه هذه الصفة بأنها الرحمة.

لكن نسب هذا التأويل إلى صحيح البخاري:

1- الخطابي في "أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري" (3 / 1921) فقال:

"قال أبو عبد الله: معنى الضحك الرحمة" انتهى.

2- نسبه أيضا البيهقي في "الأسماء والصفات" (2 / 72) فقال:

"فقد روى الفربري عن محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله أنه قال: معنى الضحك فيه

الرحمة" انتهى.

والبيهقي لعله أخذه من الخطابي لأنه ينقل عنه عادة.

إلا أن هذه النسبة مشكوك فيها، فهذا الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى رغم سعة

اطلاعه على نسخ صحيح البخاري ينفي وجود هذا النص في النسخ التي اطلع عليها.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

"قال - أي الخطابي - وقال أبو عبد الله: معنى الضحك هنا الرحمة قلت - أي ابن حجر

-: ولم أر ذلك في النسخ التي وقعت لنا من البخاري" انتهى من "فتح الباري" (8 /

632).

فالحاصل؛ هو أنه لا نستطيع الجزم بنسبة هذا التأويل للإمام البخاري

رحمه الله تعالى، لأن نسخ صحيح البخاري التي وصلت إلينا والموثوق بها خالية من هذا

التفسير، والله أعلم.

ثانياً:

صفة الوجه:

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

” كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) القصص (88) : إِلَّا مُلْكُهُ ،
وَيُقَالُ: إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ ” انتهى من ” فتح الباري ” (8)
(505 /) .

ويلاحظ ما يلي :

ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى أن في رواية النسفي لصحيح البخاري ، لفظة (إِلَّا مُلْكُهُ) منسوبة إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى ؛ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :

” قوله إلا وجهه إلا ملكه في رواية النسفي ، وقال معمر : فذكره ، ومعمر هذا : هو أبو عبيدة ، ابن المثنى وهذا كلامه في كتابه مجاز القرآن ، لكن بلفظ : إلا هو ” انتهى . ” فتح الباري ” (8 / 505) .

وعلى هذا يحتمل أن يكون البخاري ذكر هذا التفسير كاختيار له ، ويحتمل أنه ذكره كتفسير من التفاسير من غير أن يكون قد اختاره ، وقدمه على غيره من الأقوال الواردة في تفسير الآية .

ثم إن التفسير (إِلَّا مُلْكُهُ) يستحيل أن يكون المقصود بملك الله أي : مخلوقات الله ، لأنه معلوم بطلان هذا المعنى لكل مسلم ؛ فالله تعالى قد نص أن مخلوقاته ستهلك .

فيبقى أن يقال أن المقصود بالملك إذا صفة الملك لله تعالى ، إلا أنه يبقى هنا إشكال وهو : لماذا خصّ صفة الملك من بين باقي صفات الله تعالى ؟ وأقرب ما يمكن الجواب به أن يقال : إن شطرا كبيرا من سورة القصص : هو ذكر لقصة شخصين تجبرا وكفرا بسبب ملكهما ، وهما فرعون وقارون .

قال الله تعالى في بداية قصة فرعون :

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) القصص (4) .

وقال الله تعالى في بداية قصة قارون :

(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) القصص (76) .

وذكر الله تعالى بين هاتين القصتين :

(وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَنْسِكَنْ مَنْ بَعْدَهُمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ)
القصص (58) .

فناسب أن يقال : إن كل مالك ، وما يملك : سيهلك ، وستزول صفة الملك عنه ، ولا يبقى إلا الله تعالى ، فهو المالك على الحقيقة ؛ ولهذا يقول الله تعالى :
(يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) غافر (16) .

فيكون هذا التفسير : لا يراد به نفي الوجه ، وإنما هو تفسير للقرآن بالقرآن ، وهو تفسير للفظ ببعض ما يتعلق به من الصفات والمعاني ، مما يناسب سياق السورة ، لأن بقاء الوجه يلزم منه بقاء الله تعالى وصفاته ، ومنها صفة الملك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :
” فإن من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المفسر من الأسماء ، أو بعض أنواعه ؛ ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى ، بل قد يكونان متلازمين ... ”
انتهى . ” مجموع الفتاوى ” (6 / 390) .

والحاصل ؛ أنه مادام هنا اشكال وابهام قائم هل هذا التفسير للبخاري أم لمعمر ؟ ولماذا اختار لفظة (إِلَّا مُلْكُهُ) ؟

فنرجع لإزالة هذا الإشكال إلى عادة البخاري ومذهبه مع نصوص الصفات ، وننظر إلى تصرف البخاري مع هذه الآية في مواضع أخرى ؛ لأن كلام العالم المجمل والمشكل يفسر على وفق عادة هذا العالم ومذهبه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :
” فإنه يجب أن يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض ويؤخذ كلامه هاهنا وهاهنا ، وتعرف ما عادته [وما] يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به ، وتعرف المعاني التي عرف أنه أرادها في موضع آخر ، فإذا عرف عرفه وعادته في معانيه وألفاظه ، كان هذا مما يستعان به على معرفة مراده .

وأما إذا استعمل لفظه في معنى لم تجر عادته باستعماله فيه ، وترك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه ، وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف أنه يريده بذلك اللفظ بجعل كلامه متناقضا ، وترك حمله على ما يناسب سائر كلامه ، كان ذلك تحريفا لكلامه عن موضعه ، وتبيلا لمقاصده وكذبا عليه ” انتهى من ” الجواب

الصحيح " (4 / 44) .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :

" والكلمة الواحدة يقولها اثنان ، يريد بها أحدهما : أعظم الباطل ، ويريد بها الآخر : محض الحق . والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه ، وما يدعو إليه وينظر عليه "

انتهى من " مدارج السالكين " (5 / 3954) .

والبخاري معروف بأنه يثبت صفات الله تعالى ، ومنها صفة الوجه ، فإنه في كتاب

التوحيد من صحيحه أجرى هذه الآية على ظاهرها ولم يؤولها .

قال رحمه الله تعالى :

" بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) الْقِصَصِ

(88) .

7406 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ ،

عَنْ عَمْرٍو ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ

الآيَةُ : (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ

فَوْقِكُمْ) [الأنعام: 65] ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

: أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ، فَقَالَ : (أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) [الأنعام: 65

، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ،

قَالَ : (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا) [الأنعام: 65] ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذَا أَيْسَرُ) انتهى من " فتح الباري " (13 / 388

(.

قال الشيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله تعالى :

" وأما قوله: " إلا ملكه " فهذا تأويل بعيد ، وهو مخالف لصنعه هنا ، حيث ذكر الآية

، ثم أتبعها بحديث جابر ، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : (أعوذ بوجهك) . فهذا

ظاهر جداً في أنه أراد إثبات الوجه صفة لله تعالى " انتهى من " شرح كتاب التوحيد من

صحيح البخاري " (1 / 276) .

ثالثاً :

من الأخطاء الشهيرة التي يقع فيها الناس كثيراً ، المثبت منهم والنافي : أنه إذا

اعتقد إثبات صفة ، ظن أن كل نص ورد فيه " لفظ " هذه الصفة ، يلزم تفسيره بمعنى هذه

الصفة ، والاستدلال به على إثباتها .

وعكس ذلك النافي : إذا رأى في قول قائل من أهل العلم ، تفسير نص ، بما لا يدل على

إثبات الصفة بهذا النص ؛ ظن منه أن هناك تلازماً بين ذلك ، وبين نفي الصفة ، واستدل

بذلك التفسير على أن القائل المعين من السلف : ينفي هذه الصفة المعينة ، أو ربما انتقل من ذلك إلى دعواه : أن يتأول باب الصفات بعامة .

وكلا الأمرين خطأ واضح في الاستدلال ؛ فإنه لا يلزم من بطلان الدليل ، بطلان المدلول ، ولا يلزم من تأويل النص المعين ، تأويل الباب كله ، بل ولا نفي الصفة المعينة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

وَأَمَّا قُرْبُهُ بِنَفْسِهِ مِنْ مَحْلُوقَاتِهِ " قُرْبًا لَازِمًا فِي وَقْتِ دُونَ وَقْتٍ؛ وَلَا يَخْتَصُّ بِهِ شَيْءٌ: فَهَذَا فِيهِ لِلنَّاسِ قَوْلَانِ.

فَمَنْ يَقُولُ هُوَ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَقُولُ بِهَذَا .

وَمَنْ لَا يَقُولُ بِهَذَا : لَهُمْ أَيْضًا فِيهِ قَوْلَانِ :

أَحَدُهُمَا إِثْبَاتُ هَذَا الْقُرْبِ ، وَهُوَ قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْ

الْمُتَكَلِّمِينَ وَالصُّوفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ ، يَقُولُونَ: هُوَ فَوْقَ

الْعَرْشِ ، وَيُثْبِتُونَ هَذَا الْقُرْبَ .

وَقَوْمٌ يُثْبِتُونَ هَذَا الْقُرْبَ؛ دُونَ كَوْنِهِ عَلَى الْعَرْشِ .

وَإِذَا كَانَ قُرْبُ عِبَادِهِ مِنْهُ نَفْسَهُ ، وَقُرْبُهُ مِنْهُمْ : لَيْسَ

مُتَمَنِّعًا عِنْدَ الْجَمَاهِيرِ مِنَ السَّلَفِ وَأَتْبَاعِهِمْ، مِنْ أَهْلِ

الْحَدِيثِ وَالْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ : لَمْ يَجِبْ أَنْ

يُتَأَوَّلَ كُلُّ نَصٍّ فِيهِ ذِكْرُ قُرْبِهِ ، مِنْ جِهَةِ امْتِنَاعِ الْقُرْبِ

عَلَيْهِ .

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ جَوَازِ الْقُرْبِ عَلَيْهِ : أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَوْضِعٍ

ذِكْرَ فِيهِ قُرْبُهُ ، يُرَادُ بِهِ قُرْبُهُ بِنَفْسِهِ ؛ بَلْ يَبْقَى هَذَا

مِنْ الْأُمُورِ الْجَائِزَةِ ، وَيُنْظَرُ فِي النَّصِّ الْوَارِدِ ؛ فَإِنْ دَلَّ

عَلَى هَذَا ، حُمِلَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ دَلَّ عَلَى هَذَا حُمِلَ عَلَيْهِ .

وَهَذَا كَمَا تَقَدَّمَ فِي لَفْظِ الْإِثْبَانِ وَالْمَجِيءِ ؛ وَإِنْ كَانَ فِي

مَوْضِعٍ قَدْ دَلَّ عِنْدَهُمْ عَلَى أَنَّهُ هُوَ يَأْتِي ، فَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ

دَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَأْتِي بَعْدَايِهِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَأَتَى

اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾. وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ

مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ .

فَتَدَبَّرْ هَذَا ؛ فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَغْلُطُ النَّاسُ فِي هَذَا

الْمَوْضِعِ ، إِذَا تَنَارَعَ الثُّقَاةُ وَالْمُثَبِّتَةُ فِي صِفَةٍ وَدَلَالَةٍ

نُصَّ عَلَيْهَا ؛ يُرِيدُ الْمُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ اللَّفْظَ - حَيْثُ
وَرَدَ - دَالًّا عَلَى الصِّفَةِ ، وَظَاهِرًا فِيهَا ، ثُمَّ يَقُولُ النَّافِي :
وَهُنَاكَ لَمْ تَدُلَّ عَلَى الصِّفَةِ ، فَلَا تَدُلُّ هُنَا . وَقَدْ يَقُولُ
بَعْضُ الْمُثْبِتَةِ : دَلَّتْ هُنَا عَلَى الصِّفَةِ ، فَتَكُونُ دَالَّةً هُنَاكَ

بَلْ لَمَّا رَأَوْا بَعْضَ النُّصُوصِ تَدُلُّ عَلَى الصِّفَةِ ، جَعَلُوا كُلَّ
آيَةٍ فِيهَا مَا يَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُ يُضَافُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى - إِضَافَةً
صِفَةٍ - مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَرَطْتُ فِي جَنبِ
اللَّهِ ﴾ ؛ وَهَذَا يَقَعُ فِيهِ طَوَائِفٌ مِنَ الْمُثْبِتَةِ وَالثَّقَاةِ ،
وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْعَلَطِ .

فَإِنَّ الدَّلَالََةَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِحَسَبِ سِيَاقِهِ ، وَمَا يُحْفَ بِهِ
مِنَ الْقَرَائِنِ اللَّفْظِيَّةِ وَالْحَالِيَّةِ . وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي أَمْرِ
الْمَخْلُوقِينَ ؛ يُرَادُ بِالْفَاقِطِ الصِّفَاتِ مِنْهُمْ ، فِي مَوَاضِعَ
كَثِيرَةٍ ؛ غَيْرُ الصِّفَاتِ .

وَأَنَا أَذْكَرُ لِهَذَا مِثَالَيْنِ نَافِعَيْنِ :
أَحَدُهُمَا : صِفَةُ الْوَجْهِ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ إِثْبَاتُ هَذِهِ
الصِّفَةِ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْمُتَكَلِّمَةِ الصِّفَاتِيَّةِ ، مِنْ
الْكَلَابِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ وَالْكَرَامِيَّةِ ، وَكَانَ نَفْيُهَا مَذْهَبَ
الْجَهْمِيَّةِ ، مِنْ الْمُعْتَزَلَةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَمَذْهَبَ بَعْضِ الصِّفَاتِيَّةِ
مِنَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ =

صَارَ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ : كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً فِيهَا
ذَكَرُ الْوَجْهِ ، جَعَلَهَا مِنْ مَوَارِدِ النَّزَاعِ ؛ فَالْمُثْبِتُ
يَجْعَلُهَا مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تُتَأَوَّلُ بِالصَّرْفِ ، وَالنَّافِي
يَرَى أَنَّهُ إِذَا قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ صِفَةً ، فَكَذَلِكَ
غَيْرُهَا .

مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ
فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا فَوَجْهُ اللَّهِ ﴾ ، أَذْخَلَهَا فِي آيَاتِ
الصِّفَاتِ طَوَائِفٌ مِنَ الْمُثْبِتَةِ وَالثَّقَاةِ حَتَّى عَدَّهَا " أَوْلَاكَ
" كَابْنِ حُرَيْمَةَ وَمَا يُقَرَّرُ إِثْبَاتُ الصِّفَةِ وَجَعَلَ " النَّافِيَّةِ
" تَفْسِيرَهَا بِغَيْرِ الصِّفَةِ حُجَّةً لَهُمْ فِي مَوَارِدِ النَّزَاعِ .

وَلِهَذَا لَمَّا اجْتَمَعْنَا فِي الْمَجْلِسِ الْمَعْقُودِ ، وَكُنْتُ قَدْ قُلْتُ :
 أَمَهَلْتُ كُلَّ مَنْ خَالَفَنِي ثَلَاثَ سِنِينَ إِنْ جَاءَ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ عَنِ
 السَّلَفِ يُخَالِفُ شَيْئًا مِمَّا ذَكَرْتَهُ ، كَانَتْ لَهُ الْحُجَّةُ ،
 وَفَعَلْتُ وَفَعَلْتُ . وَجَعَلَ الْمَعَارِضُونَ يُفْتَتَشُونَ الْكُتُبَ ،
 فَظَفَرُوا بِمَا ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ " الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ " فِي
 قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا**
فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ . ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَالشَّافِعِيِّ :
 أَنَّ الْمُرَادَ قِبْلَةَ اللَّهِ فَقَالَ أَحَدُ كُبْرَائِهِمْ - فِي الْمَجْلِسِ
 الثَّانِي - قَدْ أَحْضَرْتُ تَفْلًا عَنِ السَّلَفِ بِالتَّأْوِيلِ ؟
 فَوَقَعَ فِي قَلْبِي مَا أَعَدَّ ، فَقُلْتُ : لَعَلَّكَ قَدْ ذَكَرْتَ مَا رُوِيَ فِي
 قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا**
فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ؟
 قَالَ : نَعَمْ .

قُلْتُ : الْمُرَادُ بِهَا : قِبْلَةُ اللَّهِ !!
 فَقَالَ : قَدْ تَأَوَّلَهَا مُجَاهِدٌ وَالشَّافِعِيُّ ، وَهَمَّا مِنَ السَّلَفِ

...

قُلْتُ هَذِهِ الْآيَةُ : لَيْسَتْ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَصْلًا ، وَلَا
 تَنْدَرُجُ فِي عُمُومِ قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ : لَا تُؤَوَّلُ آيَاتِ الصِّفَاتِ .
 قَالَ : أَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْوَجْهِ ؟
 فَلَمَّا قُلْتُ : الْمُرَادُ بِهَا قِبْلَةُ اللَّهِ ، قَالَ : أَلَيْسَتْ هَذِهِ
 مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ ؟

قُلْتُ : لَا ؛ لَيْسَتْ مِنْ مَوَارِدِ النَّزَاعِ ، فَإِنِّي إِنَّمَا أَسَلَّمُ
 أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَجْهِ - هُنَا - الْقِبْلَةُ ، فَإِنَّ " الْوَجْهَ " :
 هُوَ الْجِهَةُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ، يُقَالُ : قَصَدْتُ هَذَا الْوَجْهَ ،
 وَسَافَرْتُ إِلَى هَذَا " الْوَجْهِ " ، أَي : إِلَى هَذِهِ الْجِهَةِ ؛ وَهَذَا
 كَثِيرٌ مَشْهُورٌ .

فَالْوَجْهُ : هُوَ الْجِهَةُ . وَهُوَ الْوَجْهَةُ .

كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيُهَا** ﴾ . ، أَي
 مُتَوَلِّيُهَا ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **وَجِهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُهَا** ﴾ . كَقَوْلِهِ :
 ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ﴾ . ، كِلْتَا الْآيَتَيْنِ فِي

اللفظ والمعنى متقاربتان ، وكلاهما في شأن القبلة ،
والوجه ، والوجهة : هو الذي ذكر في الآيتين: أنا
توَّبيهِ: نَسْتَقْبِلُهُ.

قُلت: وَالسِّيَاقُ يَدُلُّ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿فَأَيُّهَا تَوَلُّوا﴾
وَأَيِّنْ مِنَ الظُّرُوفِ ، وَتَوَلُّوا أَي تَسْتَقْبِلُوا. فَالْمَعْنَى: أَيُّ
مَوْضِعٍ اسْتَقْبَلْتُمُوهُ ، فَهَذَا كَوَجْهُ اللَّهِ . فَقَدْ جَعَلَ وَجْهَ
اللَّهِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَسْتَقْبِلُهُ ، هَذَا بَعْدَ قَوْلِهِ:
﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ ، وَهِيَ الْجِهَاتُ كُلُّهَا ، كَمَا فِي
الآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

فَأَخْبَرَ أَنَّ الْجِهَاتِ لَهُ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِضَافَةَ : إِضَافَةُ
تَحْصِيصٍ وَتَشْرِيْفٍ؛ كَأَنَّهُ قَالَ : جِهَةُ اللَّهِ ، وَقِبْلَةُ اللَّهِ ...
وَالْعَرَضُ أَنَّهُ إِذَا قِيلَ: " فَتَمَّ قِبْلَةُ اللَّهِ " : لَمْ يَكُنْ هَذَا
مِنَ التَّأْوِيلِ الْمُنْتَارِعِ فِيهِ؛ الَّذِي يُنْكَرُهُ مُنْكَرُو تَأْوِيلِ
آيَاتِ الصِّفَاتِ؛ وَلَا هُوَ مِمَّا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَيْهِمُ الْمُثْبِتَةُ ؛
فَإِنَّ هَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ فِي نَفْسِهِ ، وَالآيَةُ دَالَّةٌ عَلَيْهِ .

وَإِنْ كَانَتْ دَالَّةً عَلَى ثُبُوتِ صِفَةٍ ، فَذَلِكَ شَيْءٌ آخَرٌ .. " انتهى،
من "مجموع الفتاوى" (17-6/15) .
والله أعلم .